كلمة السيد المدير العام للآثار والمتاحف
الدكتور علي أبو عساف

السيدة الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة،

عند زيارة تدمر، التي تعرفونها جيداً، سوف تثير اعجابكم عظمة آثارها، التي تدل على مدى أهميتها. هذه الآثار التي تحيط بها حدائق غناء جميلة ترويها ينابيع عذبة تنبع من الغرب. لقد ألهم هذا الموقع المتميز في قلب الصحراء السكان الأوائل ليطلقوا عليها اسم تدمر/تدمرتا والتي تعني بالآرامية الاعجوبة.

كانت تدمر في بداية نشوئها أرضاً رعوية محاطة بمستوطنة شبه بدوية وكان البدو يعيشون فيها صيفاً شتاءً، ويعتمدون على الرعي والزراعة والتجارة. واذا أردنا الكشف عن بدايات آثار هذا الموقع يجب أن نركز على الألف الثاني قبل الميلاد، حيث يرد أول ذكر لتدمر وللتدمريين في بعض الوثائق التجارية التي وجد بعضها في المستعمرة الآشورية في كانيش بالأناضول. وأخرى وجدت في ايمار/بالس/مسكنة، أحد أهم المرافئ التجارية على نهر الفرات. وتعود هذه الوثائق الى النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد.

إنه لمن المؤسف ذكره أن هذه الوثائق التي تعود الى ما قبل فترة الاسكندر الكبير لا تحتوي على دلائل لأي نوع من أعمال العنف أو الغزو ضد تدمر. عندما انتقلت القبائل الآرامية نحو الشمال والشرق، حاصرهم الملك الاشوري تغلات فلاصر (١١١٢ - ١٠٧٤ ق.م) بين الفرات وتدمر. ولكنه لم يتمكن لا من حصار تدمر ولا من دخولها، على الرغم من أن الجيوش الآرامية لم تمنعه من ذلك. كانت تدمر في ذلك الوقت مدينة القوافل بين الفرات وبلاد الشام الجنوبية. وعلى أي حال، إن السكان الأوائل لتدمر كانوا عموريين - كنعانيين؛ ثم استوطنها الآراميون قبل وصول القبائل العربية. إن المصادر التاريخية في بداية الألف الأول قبل الميلاد عن تدمر قليلة جداً، ومع ذلك فإن الهلال الخصيب شهد حوادث غيرت مجرى التاريخ. ومن أهمها كان تمزق الآراميين وازدهار المملكة الاشورية. في نهاية القرن السابع قبل الميلاد كانت بلاد الشام والعراق والجزء الجنوبي من الأناضول، والجزء الشمالي من نجد، والجزء الغربي من ايران تحت سيطرة الاشوريين. في الحقيقة، كانت البادية من الفرات حتى جبل حوران، لأول مرة في التاريخ القديم منطقة حروب. ومن المؤكد أن الجيش الارامي هاجم دمشق مروراً بالبادية ومثيراً الاضطراب للقبائل البدوية. ويتضح ذلك من خلال التحالف بين العرب والاراميين والملك البابلي شمش - شون - اكين (٦٦٨ - ٦٤٨ ق.م) ضد الملك الاشوري آشور بانيبال (٦٦٤ - ٦٢٩ ق.م) الذي أمر جيوشه بتدمير واحراق المناطق البدوية.

فرضت المملكة الاشورية القوية حمايتها على طرق القوافل، فازدهرت بذلك التجارة وتوسعت. وأصبحت تدمر قلب الصحراء مدينة قوافل كبيرة.

بدأ البدو في نهاية القرن السابع، وفي خلال حكم آشور بانيبال، باثبات وجودهم في السهول كما أصبح وجودهم فعال في مسيرة الحضارة. ولم يعودوا كما وصفهم فاراو سيتوس الأول (١٣٠٥- ١٢٩٠)، قطاع طرق يسببون المشاكل للحياة الزراعية ولكن على العكس فقد ملؤوا الصحراء حياة. حاربت القبائل العربية الأخمينيين والاغريق والرومان الذين احتلوا الجزء الشمالي والغربي من بلاد الشام. وجد التدمريون والنبطيون مركزين تجاريين كبيرين: تدمر والبتراء. كانت البتراء مبنية في الصخر أما تدمر فمبنية على رمال الصحراء.

إن تاريخ تدمر هو تاريخ البادية في حين ارتبط تاريخ البتراء بتاريخ النبطيين. ويتضح ذلك من التشابه القائم بين قوانينهما وأسمائهما. نحن نعلم أن ترجمة بترا/سيلا تعني مقلع الحجارة أما تدمر فتعني الاعجوبة.

لست بصدد القاء محاضرة لكن أرجو أن تفهم كلماتي كمقدمة أربعة أيام من أيام الندوة. سيشاركنا بها علماء قديرون لالقاء الضوء على عظمة تاريخ تدمر.

دعوني أشكر الدكتورة نجاح العطار، وزيرة الثقافة مع فائق احترامي لدعمكم وتشجيعكم هذه الندوة كما أشكر السيد محمود الزعبي، رئيس مجلس الوزراء، لرعايته وتوجيهه الأوامر. وأود أن أشكر جميع من عملوا بجد في تنظيم هذه الندوة ومن أعادوا ترتيب متحف تدمر.

وفي النهاية، أشكر مع فائق احترامي السيد الرئيس حافظ الأسد، رئيس الجمهورية العربية السورية، العاطي للثقافة حق قدرها، والراعي لجميع ندواتنا. في هذا اليوم العظيم، العيد الخامس والأربعين لميلاد حزب البعث، نرسل أكبر التهاني لسيادة الرئيس.